دور التفكك الأسري في السمات الشخصية للأبناء

(دراسة ميدانية في مدينة بغداد)

د. فوزية عودة الكبيسي
كلية التربية للبنات /جامعة بغداد

أ.د. احسان محمد الحسن
كلية الآداب / جامعة بغداد

لاشك أن تفكك الأسرة الذي يتجسد في الهجر أو الطلاق أو الانفصال أو موت أحد الأبوين أو كلاهما أو تعرض رب الأسرة إلى السجن أو الاعتقال أو المرض العضال أو سوء أساليب التنشئة التي تعتمدها الأسرة في تربية أبنائها يترك آثاره وبصماته الدائمة على شخصية الأبناء وطبيعة تكيفهم للمحيط الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه[١] . ذلك أن تفكك الأسرة لا يقود إلى جنوح الأبناء وإنحرافهم فحسب بل يؤثر أيضاً في أنماط شخصياتهم تأثيراً سلبياً إذ تكون شخصية الأبن مريضة وغير سوية إلى درجة تكون فيها غير قادرة على اجتياز مراحل التنشئة الاجتماعية بصورة مقنعة وكفوءة وهنا يفشل الأبن في أشغال الأدوار الاجتماعية الأساسية التي يحددها المجتمع له ويكون غير قادر على تحمل أعباء المسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتقه من قبل المجتمع . وهنا يكون الأبن عالة وحمل ثقيل لا على الأسرة فحسب بل على المؤسسات المرجعية والمجتمع الكبير أيضاً .

ولكن تفكك الأسرة لا يقود إلى أنحراف الأبناء فقط بل يؤدي أيضاً إلى زرع الكثير من الصفات السلبية والعقيمة عندهم ، هذه الصفات التي تعرقل مسيرة تنشئتهم الاجتماعية وتخل بوظائفهم الأساسية كأفراد في الأسرة والمجتمع وتدفعهم إلى ارتكاب أنواع الممارسات الخاطئة والملتوية التي تسيء إلى سمعتهم وسمعة أسرهم وتمنعهم من إداء المهام والمسؤوليات المطلوبة منهم . أن الصفات السلبية التي يتسم بها الأبناء والناجمة عن تفكك الأسرة

سرعان ما تصيب الشخصية وتفسد القيم وتخرب العلاقات الإنسانية وتضر بالمؤسسات الحيوية التي يتكون منها المجتمع . ولعل من أخطر الصفات التي يتسم بها الفرد نتيجة تفكك أسرته لسبب أو لآخر التسلطية والعدوانية واللامبالاة والإتكالية والكذب والغش والكسل والخمول والإطوائية والتشائمية والأنانية وحب الذات والأنفصام والازدواجية[٢]. وقد أشر هذه الصفات (٢٠٠) مبحوث تمت مقابلتهم مقابلة رسمية في مدينة بغداد تستعمل استمارات الأستبيان . وكان المبحوثون ينحدرون من شرائح اجتماعية مختلفة حيث كان (٥٠) منهم أرباب أسر ، (٥٠) آخرون أطباء نفسانيين ، (٥٠) آخرون معلمين ومدرسين ، وأخيراً (٥٠) منهم باحثين اجتماعيين ، علماً بأن هؤلاء المبحوثين بحكم تخصصاتهم وثقافتهم وخبرهم وتجاربهم يستطيعون الربط بين تفكك الأسرة والسمات الشخصية السلبية عند الأبناء . أما السمات الشخصية السلبية الناجمة على تفكك الأسرة فقد تم تحديدها من قبل عدد من الخبراء والمختصين في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الإجرام والطب النفسي .

علينا هنا شرح وتحليل الصفات الشخصية السلبية التي شخصها المبحوثون والناجمة عن تفكك الأسرة .

أ - التسلطية والعدوانية :

لقد جاءت هاتان الصفتان السلبيتان التسلسل المرتبي الأول إذ أشرها ١٥٦ مبحوثاً من مجموع (٢٠٠) (٧٨%) تنشأ هاتان الصفتان السلبيتان عند الفرد ما لا تكون أساليب تنشئته الاجتماعية سليمة ومستقرة بسبب اضطراب الأسرة التي ينتمي إليها وتعرضها لضغوط متناقضة وتدهور أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وأصابتها بالعديد من المشكلات الإنسانية التي تهدد كيانها وتمنعها من بلوغ طموحاتها وأهدافها القريبة والبعيدة . أن اضطراب الأسرة وسوء أحوالها الاجتماعية والاقتصادية وسيطرة أجواء العنف والخشونة والتحلل عليها لابد أن تقود إلى تسلطية وعدوانية أبنائها نتيجة لظروف الفقر

والحرمان والقسوة التي تعيشها[٣] . أن صفة التسلطية التي يتسم بها الفرد إنما هي صفة سلبية لها جذورها الاجتماعية التي تمتد إلى طرق وأساليب التنشئة الأسرية ومشكلات الأسرة وبعثرة أوضاعها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية . فالمتسلط على الآخرين هو ذلك الشخص الذي يعاني من عقد الخوف وعدم الطمأنينة وأنفصام الشخصية والعوز والحرمان[٤] . وأن تسلطه على الآخرين يمنحه حسب أعتقاده الخاطئ قسطاً من القناعة والرضا والأطمئنان والثقة بالنفس ويمكنه من بلوغ طموحاته وأهدافه الذاتية التي قد تتناقض مع طموحات وأهداف المجتمع .

وغالباً ما تسير صفة التسلطية عند الفرد جنباً إلى جنب مع صفة العدوانية. فالمتسلط على الآخرين غالباً ما يعتمد أساليب الغدر والعدوان وغمط الحقوق والامتيازات والإبتزاز هذه الأساليب التي تمكنه من التسلط والسيطرة على الاخرين عن طريق العنف والقوة والخداع والتضليل . ومن الجدير بالذكر أن صفة العدوانية التي يتسم بها بعض الأبناء متأصلة في العوامل البايولوجية الوراثية وفي العوامل الاجتماعية والحضارية فصفة العدوان تنشأ عند الفرد نتيجة لقوة غريزة أو ميل العدوان عنده ، وقد تنشأ بسبب الظروف والعوامل البيئية التي يتعرض لها كالتنشئة القاسية التي تلقاها من الأبوين وأولياء الأمور، والفقر والحرمان وغياب وسائل الضبط الاجتماعي .. الخ ، ولعل من المفيد أن نذكر هنا بأن صفة العدوان التي يتسم بها بعض الأفراد لا تقود إلى الأخلال بطبيعة الحياة الاجتماعية فحسب ، بل تقود أيضاً إلى تفكك عرى العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات وسيطرة أساليب العنف واستعمال القوة على الجميع وتفشي الجريمة في أجهزة وقطاعات الكيان الاجتماعي ، وأخيراً غياب الثقة المتبادلة بين الأفراد والجماعات واللجوء إلى خيار العنف والقوة في حل المنازعات بين الأفراد وتصفية الخلافات والتناقضات .

ب – اللامبـــالاة :

لقد جاءت صفة اللامبالاة بالتسلسل المرتبي الثـــاني إذ أشـــرها (١٤٤) مبحوثا من مجموع (٢٠٠) (٧٢%) . فعندما تكون التنشئة الاجتماعية للحـــدث خاطئة وملتوية وتفتقد أبسط مقومات التربية الفاضلة والقويمـــة بســـبب تفكـــك الشدة وبعثرة وظائفها وإلتزاماتها وتدهور قيمها ومقاييسها فأن الحدث ســـرعان ما يكتسب صفة اللامبالاة هذه الصفة التي تصبح جزءاً لا يتجـــزأ عـــن ذاتيتـــه وشخصيته[٦] . وعندما يكبر الحدث ويصبح شاباً واعياً تترســـخ فيـــه الصـــفة السلبية وتسيطر على ممارساته الخاصة والعامة بحيث لا يستطيع التحرر منهـــا والإفلات من قبضتها . وهنا تفعل هذه الصفة المذمومة فعلها المخـــرب فتحـــول الإنسان إلى شخص لا يعرف معنى الالتزام والمسؤولية ، ولا يعي طبيعة المهام والأعباء الملقاة على عاتقه .

وهنا تضطرب طبيعة حياة ذلك الشخص وتضـــعف قدراتـــه فـــي البـــذل والعطاء وتقل أو تنعدم انتاجيته ويصبح بعد ذلـــك عبئـــاً ثقـــيلاً علـــى أســـرته ومجتمعه.

إلا أن صفة اللامبالاة التي يتسم بها الفرد ليست هي صـــفة وراثيـــة أو تكوينية وإنما هي صفة مكتسبة يكتسبها الفرد من محيطـــه ومـــن الجماعـــات المؤسسية التي ينتمي إليها ويتفاعل معها لاسيما الأسرة[٧] . وجذور هذه الصفة السلبية تمتد إلى مراحل التنشئة الاجتماعية التي مرّ بها الفرد لاســـيما التنشـــئة الأسرية وتمتد إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها وإلى الجماعات التي تحيل بها وإلى طبيعة حالتـــه النفســـية والمزاجيـــة . فمراحـــل التنشـــئة الاجتماعية التي مرّ بها الفرد والتي ولدت عنده صفة اللامبالاة كانت تتميز بعدم وجود الرعاية المكثفة من قبل الأسرة وعدم أعتماد الوالـــدين أســـاليب العقـــاب والثواب وأساليب التوازن بين الشدة واللين[٨] . فعندما لا يتابع الوالدان المسيرة التربوية للأبناء ولا يوجهانهم التوجيه الصحيح والهادف الذي يرمي إلى صـــقل

الصفات والمهارات ولا يحرصان على حثهم على السلوك القويم والجيد والابتعاد عن السلوك الضار والمستهجن ولا يستعملان صيغ وأساليب العقاب والثواب في تربية الأبناء فأن الأخيرين ينشئون لا مبالين بما يحيط بهم وغير مكترثين لما يحدث لهم وغير صاغين للنصائح والإرشادات التي توجه إليهم . وأمور كهذه لابد أن تسقطهم في هاوية الأنحراف والجنوح والمرض الاجتماعي الذي يقتل قدراتهم الكامنة ويسيء إلى أسرهم ويعرض المجتمع إلى جملة مشكلات خطيرة لا يمكن التكهن بنتائجها وسلبياتها .

ج - الإتكاليـــة :

جاءت الاتكالية بالتسلسل المرتبي الثالث إذ أشرها ١٣١ مبحوثاً من مجموع (٢٠٠) (٦٦%) .

أن الاتكالية هي صفة اجتماعية مذمومة يصاب بها بعض الناس نتيجة لسوء تنشئتهم الاجتماعية أو تفاقم أوضاعهم الاقتصادية والحضارية أو ضعف قابلياتهم الذاتية والنفسية وصفة الاتكالية لا تنميها عند الحدث مؤسسة اجتماعية واحدة كالأسرة أو المدرسة مثلاً ، بل تنميها عنده العديد من المؤسسات كجماعة اللعب والمجتمع المحلي ووسائل الأعلام . لكن تبقى الأسرة هي المؤسسة المهمة المسؤولة عن ظهور ونمو وأنتشار هذه الصفة المذمومة ، طالما أنها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يحتك معها الحدث . والأسرة المسؤولة عن ظهور وبلورة هذه الصفة الاجتماعية السلبية إنما هي الأسرة المفككة والمضطربة ومقطوعة الجذور وليس الأسرة السليمة أو السوية .

وقد تتحول الاتكالية عند الفرد الذي يحملها من صفة ذاتية إلى قيمة اجتماعية سلبية نظراً لإنتشارها بين الأفراد والجماعات وسيطرتها على شخصية الفرد بحيث تكون جزءاً من منظومته الفكرية والقيمية ، علماً بأن منظومة القيم والمبادئ التي يحملها الفرد تؤثر في سلوكه اليومي والتفصيلي بحيث يعبر السلوك خير تعبير عن القيم التي يتبناها الفرد ويعتمد عليها في حياته

الاجتماعية[٩] . فإذا كانت المبادئ والقيم عند الفرد تدعو إلى الاتكالية والاعتماد على الغير في كل شيء فان سلوك الفرد لابد أن يكون اتكاليا وبعيدا عن الاستقلالية والثقة العالية بالنفس .

تؤدي التنشئة الاجتماعية لاسيما التنشئة الأسرية الخاطئة والملتوية دورها الفاعل في ظهور وتفشي هذه الصفة الاجتماعية المذمومة ، فالمسؤولية عن عملية التنشئة الأسرية لم يزرعوا صفات الاعتماد على الذات عند الحدث بل زرعوا صفات الاعتماد على الغير عنده والاتكال عليهم في إداء كافة المهام والأشياء التي هو يحتاجها أو تحتاجها أسرته[١٠] . وعندما ينشأ الحدث على هذه الصفات السلبية تترسخ عنده وتستحكم فيه بحيث تصبح جزءاً من شخصيته. لهذا يكون سلوكه اليومي فيما بعد سلوكاً اتكالياً عقيماً يتسم بالضعف والانهزامية وعدم القدرة على مواجهة المخاطر والمشكلات .

وقد شخص التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي هذه القيمة الاجتماعية الضارة ودعى إلى ضرورة استئصالها وتحرير الافراد من شرورها[١١] ، لأنها تؤدي إلى ضعف الشخصية العربية وبعثرتها وتقلل الانتاجية كماً ونوعاً وتقتل روح العمل المبدع والخلاق عند الأفراد والجماعات وتسيء إلى ذاتية وأستقلالية الفرد وسط الكيان الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه . كما حذر الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) الأفراد والجماعات من مغبة التحلي بهذه الصفة الاجتماعية المذمومة عندما صنّف الأفراد في المجتمع إلى ثلاث مجاميع المجموعة التي تعتمد على الآخرين في إداء أعمالها ومهامها ، والمجموعة التي تنجز ما عليها من مهام فقط ، والمجموعة التي لا تكتفي بإنجاز أعمالها بل تبادر بإداء أعمال إضافية لها أهميتها في نمو وتطوير المجتمع في المجالات كافة[١٢] .

د - الكـــذب والغـش :

لقد أشر صفتي الكذب والغـش (١٢٠) مبحوثـاً مـن مجمـوع (٢٠٠) (٦٠%) حيث جاءت هاتان الصفتان بالتسلسل المرتبي الرابع . أن الكذب والغش هما صفتان أجتماعيتان سلبيتان يتعلمها الفرد منذ بداية حياته مـن الأسـرة أو المجتمع المحلي أو الأفراد الملازمين له . فالكذب هو صفة مذمومة لا علاقة لها بالعوامل الوراثية لأنها صفة مكتسبة من البيئة الاجتماعية التـي يعـيش فيهـا الكذاب ويتفاعل معها والكذب يدل على ضعف شخصية الكذاب وجبنها وشرذمتها وعدم قدرتها على مواجهة الحقائق مواجهة أمينة وصادقة[١٣] . كما يشير الكذب إلى عدم استقامة الفرد في تعامله مع الآخرين وإخفـاء الحقـائق الموضـوعية عنهم أو تلفيقها وطرح معلومات كاذبة محلها . أما سبب اعتماد صـفة الكـذب فيرجع إلى رغبة الكذّاب في خداع وتضليل الآخرين بغية الحصول على مكاسـب ذاتية قد مادية أو معنوية ، أو جلب الأذى والضرر للأشخاص الذين يكذب عليهم أو الإنتقام من المجتمع من خلال نشر الكذب الذي يسيء إلى الصالح العام ويخل بمجرى العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات[١٤] .

ويرجع الكذب إلى طبيعة التنشئة الأسرية والاجتماعية التي تلقاها الفـرد منذ الصغر . فالأسرة أو الجماعات المرجعية لم تؤدي دورها في تنبيـه الحـدث من مغبة الكذب ، كما أنها لم تعاقبه عقاباً صارماً عندما كذب وضـلل الآخـرين لأول مرة في حياته زد على ذلك ضـعف شخصـية الكـذّاب وتفـاقم الضـغوط المتقاطعة المؤثرة فيها وصعوبة الظروف الموضوعية والذاتية التي يعيشها .

والغش متعلق بالكذب . ذلك أن الشخص الغشاش إنمـا هـو الشـخص الكاذب فالغشاش يغش في عمله وواجباته وسلوكه اليومي والتفصـيلي ، أي لا يصدق في أداء العمل المطلوب منه ويزوغ عن الالتزام بمبادئ وسياقات العمـل النزيه والجيد الذي ينمي شخصية الإنسان ويطور فاعلي المجتمع في المجـالات كافة[١٥] . فقد يغش الطالب في الامتحان أي يسرق المعلومـات ويـدعيها زوراً

وبهتاناً لنفسه ، ويغش البائع السلعة التي يبيعها إلى المواطنين ، أي يصرف عليهم السلعة غير الجيدة دون علمهم برداءتها وتدني مواصفاتها ناهيك عن قيام البائع بغش المشتري عن طريق فرض أسعار خيالية للسلع التي يبيعها إلى درجة أن المشتري يتضرر من شراء السلعة لأن قيمة السلعة لا تعادل مقدار السعر المثبت عليها والذي يطلبه البائع من المشتري . ومهما تكن نوايا ومقاصد الغش فأنه صفة مذمومة تمتد جذورها إلى التنشئة الاجتماعية التي مرّ بها الغشاش وظروفه الموضوعية والذاتية والقوى والمؤثرات السلبية المسلطة عليه، كما أن الغش يجلب الأذى والضرر ليس للفرد الذي يعتمد أسلوب الغش في التعامل مع الآخرين بل للعائلة والجماعة المؤسسية والمجتمع الكبير لذا يتطلب معرفة دوافع الغش ونتائجه الهدّامة لكي يصار إلى مجابهته والتصدي له وتطويق مظاهره وسلبياته المخربة في كل مكان.

هـ - الكسل والخمول :

أشر هاتين الصفتين (١١٢) مبحوثا من مجموع (٢٠٠) (٥٦%) حيث جاءتا بالتسلسل المرتبي الخامس .

يؤدي تفكك الأسرة دوره الفاعل في كسل وخمول الأبناء لأن الآباء المنتمين إلى الأسرة المفككة لا يرشدون أبناءهم إلى الحيوية والنشاط ولا يحثونهم على العمل المبدع والخلاق والإنتاج الوفير ولا يوضحون لهم فوائد المثابرة والنشاط ومساوئ الكسل والخمول[١٦] . أن الأسرة المفككة لا تعرف الأساليب الفاعلة للتربية الاجتماعية والخلقية التي تدور حول الرعاية الأبوية المكثفة والجمع بين أساليب الثواب والعقاب عند القيام بعملية التنشئة واعتماد مبدأ التوازن بين أساليب اللين وأساليب الشدة عند التعامل مع الأبناء . فالأب الذي لا يكافئ ولده عند قيامه بالعمل الجيد ولا يعاقبه عند قيامه بالعمل الشين والرديء فأن أبنه ينشأ نشأة لا تميز بين النوعين من الأعمال (الجيدة والرديئة). وعليه فأنه يلجأ إلى الكسل والخمول لأنه لا يجد في أسرته ومجتمعه

المحلي من يحفزه ويدفعه إلى العمل الجدي والمثمر الذي ينمي إمكانات الفرد ويطور المجتمع في المجالات كافة[١٧] . كما أن قلة أو انعدام الحوافز المشجعة على العمل المثمر سواء في الأسرة أو المجتمع تؤدي إلى الكسل والخمول وعدم الرغبة في أداء العمل المثمر.

أن اعتماد جانب الكسل من قبل الفرد سواء كان صغيراً أو كبيراً إنما يرجع إلى العوامل التالية :

١ - التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي تلقاها الفرد منذ الصغر والتي لم ترشده إلى فوائد العمل والحيوية والنشاط وأضرار الكسل والخمول والترهل.

٢ - عدم وجود الحوافز المادية والمعنوية التي تشجع الفرد على الحيوية والنشاط والفاعلية وسط المجتمع .

٣ - عدم توفر الأجواء النفسية والاجتماعية والحضارية الإيجابية التي تحث الأفراد على العمل والإنتاج وخدمة المجتمع خدمة صادقة ومثمرة .

٤ - عدم وجود آليات الردع في المجتمع التي تحاسب الكسول وتمنعه من التمتع بحقوقه وتفرض العقوبة عليه إذا أساء لمهامه الوظيفية .

٥ - الصفات الذاتية السلبية التي يتسم بها الفرد والتي تمنعه من النشاط والفاعلية وتقوده إلى الكسل والخمول .

أما الآثار التي تتركها صفة الكسل على الفرد والجماعة والمجتمع فيمكن أجمالها بأربع نقاط أساسية هي :

١ - ضعف إنتاجية الفرد وتلكؤ مهامه الوظيفية والخدمية في المجتمع .

٢ - عدم استفادة الفرد من مؤهلاته النفسية وقابلياته الاجتماعية في الإنتاج والبناء والتقويم .

٣ - بطء حركة الجماعة والمجتمع في تحقيق الطموحات والأهداف المتوخاة.

٤ - يؤدي الكسل والخمول إلى شيوع العديد من المشكلات الاجتماعية والحضارية كالفقر والأمية والجهل والجريمة وتفكك الأسرة وجنوح الأحداث والأدمان الكحولي وتحلل القيم وتدني المستويات المادية وغير المادية في المجتمع .

و - الانطوائيـــة :

جاءت هذه الصفة السلبية بالتسلسل المرتبي السادس إذ (٩٥) مبحوثا من مجموع (٢٠٠) (٤٨%) . أن من الظواهر السلبية التي تتمخض عنها ظاهرة التفكك الأسري الانطوائية التي تصيب شخصية بعض الأفراد المنحدرين من الأسر المفككة التي تعاني من مشكلة الصراعات الزوجية أو مشكلة الهجر والأنفصال أو مشكلة عائلة القشر الفارغ ومشكلة الطلاق .... الخ . وتصاب شخصية الفرد المنحدر من الأسرة المفككة بالانطوائية لأسباب ومتغيرات كثيرة أهمها ضعف وتلكؤ تربيته الاجتماعية التي تجعله يفقد الثقة بنفسه وإمكاناته بحيث لا يقوى على مواجهة الناس والتفاعل معهم[١٨] لذا يكون ميالاً بالانعزال عن الآخرين ووضع الحواجز النفسية والاجتماعية المصطنعة بينه وبينهم . وهناك سبب آخر للانطوائية والعزلة الاجتماعية ذلك هو إصابة الفرد بمرض الشك والتشكيك بنوايا ومقاصد ومصداقية الآخرين ، ومثل هذا المرض يجعله لا يثق بالآخرين وينظر إليهم نظرة مليئة بالحقد والعدوان ، هذه النظرة التي تدفعه إلى تجنبهم والأبتعاد عنهم كلما أستطاع إلى ذلك سبيلا . زد على ذلك أن سوء التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من أسرته وأبناء مجتمعه المحلي لا تمكنه من أشغال. لدور أو الأدوار الاجتماعية المهمة والمتميزة في المجتمع ، وعدم أشغال مثل هذه الأدوار لا تشجعه على الاختلاط والتفاعل مع الآخرين . وهنا يجد الفرد نفسه منعزلاً عن الآخرين ومنطويا على نفسه .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن للانطوائية اضراراً بليغة على تكامل وفاعلية الشخصية الإنسانية ، وعلى داينميكية الجماعة ، وتنمية المجتمع

وتقدمه[١٩] . فالانطوائية لا تمكن الفرد من ممارسة أنشطة العمل والفراغ بجدية وفاعلية وتمنعه عن بلوغ طموحاته وأهدافه وتعرقل احتمالية تقدمه في مجالات الحياة وتخصصاتها . كما أن الانطوائية تترك آثارها الوخيمة على الجماعة طالما أنها السبب في إنعزال الفرد عن الجماعة وعدم مشاركته في أنشطتها وبرامجها. الأمر الذي يمنع الجماعة من تحقيق أهدافها ولا يمكن قائدها من الربط الواعي بين برامج الجماعة وأهدافها[٢٠] . وانطوائية الأفراد عن المجتمع تنتج في تصدع وإنقسام المجتمع وغياب ظاهرة التعاون بين فراره وعجزه عن بلوغ أبسط أهدافه العليا ، الأمر الذي يفرض حالة السكون والجمود على المجتمع بحيث لا يقوى على التقدم والنهوض وتحقيق الأهداف المتوخاة .

إذن الانطوائية هي مرض نفسي واجتماعي له أسباب الموضوعية والذاتية ونتائجه السلبية القريبة والبعيدة على الفرد والجماعة والمجتمع وعلاجه الفاعل الذي يفقد الفرد والجماعة من سلبياته وشروره . لقد وضحنا في هذا البحث أسباب وآثار الانطوائية كسمة سلبية من السمات التي تميز الشخصية الإنسانية المنحرفة. أما علاج هذه الظاهرة فيترك إلى محور التوصيات والمقترحات في نهاية البحث.

ز - التشائمية :

أشر هذه الصفة المذمومة (٨٤) مبحوثا من مجموع (٢٠٠) (٤٢%) إذ جاءت بالتسلسل المرتبي السابع . علينا القول .

بأن التشائمية هي سمة سلبية من السمات التي تتصف بها الشخصية الشاذة والمريضة وترجع تشائمية الفرد إلى عدة أسباب في مقدمتها تنشئة الأسرية الخاطئة وظروفه الاجتماعية والبيئية الصعبة والمتناقضة والأحداث المؤلمة والمحيرة التي مر بها منذ الصغر وطبيعة شخصيته وحالته الجسمية والنفسية[٢١]. علماً بأن تشائمية الفرد تجعله ينظر إلى المجتمع والحياة نظرة سوداوية تلزمه إلى التركيز على الجوانب القائمة والمظلمة والسيئة للقضية أو

الظاهرة أو المجتمع المحلي وأهمال الجوانب المضيئة والجيدة والنافعة للشيء الذي ينظر إليه ويتناوله. ونظرة الفرد السوداوية للأشياء تجعله لا يتعامل معها بصدق وثبات ويشكك بمصداقيتها وفاعليتها ودورها في تنمية وتقدم الحياة . لذا تنتج تشائمية الفرد في إنسجامه عن المجتمع وعزلته وجمود قدراته وطاقاته . كما تدفعه إلى التهجم على المجتمع وتوجيه الانتقادات اللاذعة له والتقليل من دوره في عملية البناء والتنمية والتقدم الاجتماعي .

ومن الجدير بالذكر أن تهجم المتشائم على المجتمع والانتقاص من مكانته والأعتداء على حرمته تدفع المجتمع إلى التصدي للمتشائم ومحاسبته بل وحتى توجيه العقوبات إليه دفاعاً عن سمعة المجتمع ومكانته ودوره في الكل الحضاري والإنساني . لذا نستطيع القول بأن تشائم الفرد لا يسبب الضرر والأذى للمجتمع فحسب بل يسبب الضرر والأذى للفرد نفسه أيضاً .

ولما كان المتشائم ناقداً وحاقداً على المجتمع فأن أعطاءه وإنتاجيته وخدمته للمجتمع تكون محدودة ومتدنية . والتشائم هو صفة شخصية وقيمة اجتماعية سلبية بعكس قيمة التفاؤل ، هذه القيمة التي تجعل الفرد ينظر إلى الأشياء نظرة مضيئة وبراقة ونظرته هذه تدفعه إلى التفاعل الحي معها والتجاوب مع مفرداتها ، الأمر الذي يسبب مضاعفة نشاط الفرد وزيادة انتاجيته وبالتالي تجاوب المجتمع معه تجاوباً إيجابياً يقود إلى توطيد العلاقة المتفاعلة بين الفرد والمجتمع . بينما صفة التشائم تقود إلى خلق الحواجز النفسية والاجتماعية بين الفرد والمجتمع .

ومهما يكن من أمر فأن صفة التشائم هي صفة تتولد عند الفرد نتيجة للأوضاع الصعبة والمأساوية التي عاشها ويعيشها لاسيما الأوضاع الأسرية المرتبكة والمفككة التي تترك آثارها وبصماتها الدائمة على شخصية الفرد فتسيء إلى إنتاجيته ودرجة تفاعله مع الآخرين وأستقراره وتكيفه للبيئة الاجتماعية .

ب - الأنانية وحب الذات :

أكد هاتين الصفتين (٧١) مبحوثاً من مجموع (٢٠٠) (٣٦%) . علينا القول بأن الأنانية وحب الذات هما سمتان مذمومتان من السمات التي يكتسبها الفرد من بيئته ووسطه الاجتماعي . وتؤدي التنشئة الاجتماعية الخاطئة مع الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها الفرد دورها الفاعل في ظهور هذه الصفة السلبية عند الفرد وبلورتها وسيطرتها على سلوكيته وتفاعله اليومي والتفصيلي مع الآخرين . تعني الانانية عمل الفرد على خدمة نفسه فقط وسعيه المتواصل على تحقيق طموحاته وأهدافه الذاتية بغض النظر عن طموحات وأهداف الآخرين[٢٢]. فالأناني لا يعترف إلا بمصالحه وطموحاته ويسعى دائماً لتحقيقها وتلبية مطاليبها حتى ولو لم تكن هذه مشروعة وقانونية . وأنه لا يتورع عن الأصطدام والأقتتال مع الآخرين في سبيل أشباع نزواته الانانية ومطاليبه الشهوانية ورغباته الذاتية التي تتقاطع مع الأعراف والتقاليد والقيم والأخلاق القوانين[٢٣] .

وكلمة الانانية مأخوذة من مصطلح الأنا الذي يعني الذات ، أي العمل من أجل الذات وأشباع نزواتها وحاجاتها ومطاليبها دون التفكير بوجود الآخرين ودون الاعتراف بحقوقهم المشروعة ومصالحهم وتطلعاتهم . والأنانية هي مصطلح مناقض لمفهوم الأثبات والتضحية من أجل الآخرين[٢٤] . ويعتبر التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي الأنانية قيمة اجتماعية سلبية في حين يعتبر الإيثار أو التضحية من أجل الآخرين قيمة اجتماعية إيجابية[٢٥] ، لذا يدعو إلى محاربة قيمة الانانية عند الفرد والقضاء عليها ، وبلورة وترسيخ قيمة الإيثار عند الأفراد والجماعات . ذلك أن قيمة الأنانية تسبب هدم وتخلف المجتمع ، بينما تسبب قيمة الإيثار بناء وتطوير ووحدة وتماسك المجتمع.

وتؤدي الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية دورها الفاعل في غياب أو حضور قيمة الانانية عند الأبناء . فالأسرة المفككة التي تسيطر عليها الأجواء المشحونة بالصراعات والعداوات والتناقضات هي الوسط الخصب لظهور صفة الأنانية عند الأبناء ، هذه الصفة التي تدفعهم إلى سد حاجاتهم ومطاليبهم غير المشروعة وبأسرع وقت ممكن[٢٦] . أما الأسرة السوية والمحصنة فهي التي تزرع عند أبنائها صفة الايثار والتضحية في سبيل الآخرين ، هذه الصفة التي تدفعهم إلى عمل الخير ومنفعة الآخرين . وصفة الأنانية لا ترجع إلى عمليات التنشئة الخاطئة فحسب بل ترجع أيضاً إلى طبيعة الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها الفرد وطبيعة الصفات التكوينية والنفسية التي تميزه عن بقية الأفراد ، وترجع أيضاً إلى طبيعة الوسط الاجتماعية الذي يعيش فيه الفرد وما يؤثر فيه من قوى ومتغيرات موضوعية وذاتية .

م - الانفصام أو الازدواجية :

أشر هذه الصفة السلبية (٦٦) مبحوثاً من مجموع (٢٠٠) (٣٣%) . أن الانفصام أو ازدواجية الشخصية هو مرض من الأمراض النفسية والاجتماعية السائدة الذي قد يصيب عددا لابأس به من الأفراد . وقد يكون من الأمراض العصابية إذا كان خفيفاً أو من الأمراض الذهانية إذا كان خطيرا وعميقاً عند المصاب[٢٧]. ونعني بالانفصام أو الازدواجية قدرة الفرد على اتخاذ موقفين متناقضين مع سرعة في المواقف خلال فترة قصيرة وفي أجواء وظروف مختلفة ومتناقضة[٢٨] .

فالفرد المصاب بالانفصام هو صاحب الشخصية المنحرفة وغير المستقرة، ومثل هذه الشخصية تؤدي إلى تناقض أقواله مع أفعاله ، أو تبدل أقواله وأفعاله تبدلاً سريعاً ومفاجئاً وفق الظروف والمناسبات والأحداث التي يشهدها الفرد خلال حياته اليومية والتفصيلية . والمثال على ازدواجية الشخصية يتجسد في إدعاء الفرد للمثالية والأخلاقية والعقلانية والتشدق بها أمام الآخرين،

وفي الوقت نفسه قيامه بأنواع الموبقات والمحرمات والممارسات اللا أخلاقية التي يرفضها المجتمع وتدينها الاخلاق والقيم ولا يرتضيها الدين والضمير الإنساني الواعي . فالشخص المصاب بعقدة ازدواجية الشخصية هو الذي يتفاخر بالعفة والشرف ويتشدق بالحفاظ على عرض النساء من خلال عدم إتاحة المحال لهن بالاختلاط والتفاعل مع الرجال في المجتمع ، وهو عينة في مناسبة أخرى نراه يتلذذ بمعاشرة النساء ويخرج معهن ويكون علاقات رومانتيكية غير مشروعة معهن[٢٩] . أن الشخص الذي يقوم بهذه الأعمال هو صاحب الشخصية الازدواجية التي تقول شيئا وتفعل شيئا مضاداً ، إذ أن هناك تقاطعاً بين القول والسلوك .

أما الأسباب المسؤولة عن انفصام الشخصية فهي التربية الأسرية الخاطئة التي يتلقاها الفرد ، هذه التربية التي تكون مبنية على ممارسات التناقض بين المثل والسلوك وبين القول والعمل وبين الذاتي والموضوعي وبين الظاهر والباطن كما تؤدي الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها الفرد دورها في انفصام الشخصية لاسيما إذا كانت أجواء وظروف التناقض والتحلل مسيطرة عليها . أن الضغوط المتعارضة التي تفرضها الجماعات المرجعية المختلفة على الأفراد لابد أن تؤدي إلى ازدواجية شخصياتهم وبالتالي سوء تكيفهم للوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه . وأخيراً قد يرجع انفصام الشخصية إلى العوامل التكوينية والوراثية أو إلى العوامل النفسية أو السيكوسوسانية التي لا مكان لشرحها وتحليلها في هذا البحث .

بعد شرح وتحليل نتائج الدراسة الميدانية التي كانت تربط بين تفكك الأسرة والسمات الشخصية السلبية عند الأبناء من جهة ، وتحدد ماهية هذه السمات السلبية وتحلل مضامينها الاجتماعية والسلوكية وأبعادها النفسية المرضية والمنحرفة ، علينا ذكر الجدول الإحصائي الذي ينطوي على النتائج الإحصائية التي تمخضت عنها الدراسة الميدانية .

جدول تسلسل مرتبي يوضح السمات الشخصية السلبية عند الأبناء الناجمة عن تفكك الأسرة كما شخصها (٣٠٠) مبحوث من أرباب الأسر والأطباء النفسيين والمعلمين والباحثين الاجتماعيين

السمات الشخصية السلبية	التسلسل المرتبي	الوزن الرياضي	النسبة المئوية
التسلطية والعدوانية	١	١٥٦	%٧٨
اللامبـــالاة	٢	١٤٤	%٧٢
الاتكاليـــة	٣	١٣١	%٦٦
الكذب والغـش	٤	١٢٠	%٦٠
الكسل والخمـول	٥	١١٢	%٥٦
الانطوائيـــة	٦	٩٥	%٤٨
التشائميـــة	٧	٨٤	%٤٢
الانانية وحب الذات	٨	٧١	%٣٦
الانفصام والازدواجية	٩	٦٦	%٣٣

ل - التوصيات لمعالجة السمات الشخصية السلبية عند الأبناء :

يمكن تقسيم التوصيات لمعالجة السمات الشخصية السلبية عند الأبناء إلى قسمين أساسيين هما :

أ - توصيات موجهة للأسرة لمعالجة المشكلة .

ب - توصيات موجهة للدولة لمعالجة المشكلة .

والآن نود تحديد هذه التوصيات الإجرائية لكي يمكن الأخذ بها لمعالجة السمات الشخصية السلبية عند الأبناء .

أ - توصيات موجهة للأسرة لمعالجة المشكلة :

١ - ضرورة انتهاج الآباء والأمهات أساليب تربوية إيجابية في تنشئة الأبناء وتقويمهم ، وهذه الأساليب ينبغي أن توازن بين أساليب اللين والشدة في التعامل مع الأبناء .

٢ - من الضروري اعتماد الوالدين أساليب العقاب والثواب في تربية الأبناء . فالوالدين ينبغي معاقبة الأبناء في حالة ارتكاب السلوك المنحرف وأن يقدمان المكافأة والثواب لهم في حالة قيامهم بالسلوك الجيد والبناء .

٣ - ضرورة مبادرة الأسرة بتوفير جميع ما يحتاجه الأبناء من التسهيلات التي تشبع حاجاتهم الأساسية والاجتماعية والروحية وتمكنهم من التكيف للمجتمع والأستقرار فيه .

٤ - على الآباء والأمهات عدم التمييز بين الأبناء في المعاملة . ذلك أن التمييز في المعاملة لابد أن يولد الغيرة عندهم ويولد العديد من الإنحرافات السلوكية والإساءات المتعمدة للأسرة والمجتمع كما تسبب العدوانية والأنطوائية والتشائمية عندهم .

٥ - على الأسرة منع أبنائها من مزاولة العمل في سن مبكر لأن العمل هو سبب من أسباب الرسوب في الدراسة وأنه قناة من قنوات الإنحراف والجريمة .

٦ - ضرورة قيام الأسرة بمراقبة أبنائها ومنعهم من الاختلاط بأبناء السوء وحثهم على الدراسة والسعي والاجتهاد .

٧ - ضرورة مبادرة الأسرة برسم جدول زمني لأبنائها يوازن بين أنشطة الدراسة والعمل في البيت وأنشطة الفراغ والترويح .

٨ - على الأسرة ضرورة تحقيق التوازن الأمثل بين حجمها وإمكاناتها المادية لكي تكون قادرة على تربية وتقويم ورعاية أبنائها ومنحهم التدريب المتخصص الذي يجعلهم أفراداً نافعين في المجتمع . علماً بأن هناك علاقة مترابطة بين كبر حجم الأسرة وجنوح أبنائها كما تدل على ذلك الدراسات والأبحاث العلمية .

٩ - على الأسرة بذل أكبر جهد ممكن من أجل بناء العادات الطيبة عند الأبناء لاسيما في مرحلة الطفولة لكي يكونوا مواطنين صالحين في الأسرة والمجتمع وأن يكونوا متحررين عن الانحرافات والتشويهات .

١٠ - على الأسرة توفير السبل الكفيلة لتسهيل عملية التنشئة الصحيحة لأبنائها سواء كانوا في سن الطفولة أو الشباب من أجل بناء جيل صالح متحرر من عقد الجنوح والانحراف واضطرابات الشخصية .

١١ - على الأسرة أن تراقب جميع الحالات السلبية عند الأبناء كالأمراض النفسية والعقد والانحرافات وأن تعمل على تشخيصها منذ ظهورها ومعالجتها قبل استفحالها وسيطرتها على الفرد .

ب - التوصيات الموجهة للدولة لمعالجة المشكلة :

١ - تزويد الأسرة بالمعلومات والخبرات والأساليب التربوية الإيجابية التي يمكن أن تعتمدها الأسرة في تربية ورعاية أبنائها .

٢ - حماية الأسرة من عوامل التفكك والتوتر عن طريق الأهتمام بأمورها وتلبية حاجاتها والحفاظ عليها من الانحراف والاضطراب والتحلل .

٣ - الترفيه عن الأسرة مادياً نظرا لوجود علاقة كبيرة بين الفقر والحرمان الاقتصادي وبين جنوح الأبناء وتأصل السمات السلبية عندهم .

٤ - تنظيم برامج للتوعية الأسرية بمختلف وسائل الأعلان من إذاعة وتلفزيون وصحف وندوات تستهدف تحقيق ما يلي :

أ - توضيح طرق التربية الصحيحة ودور الأسرة الإيجابي في الوقاية من جرائم الأبناء ، وتوضيح المهام الملقاة على عاتق الآباء والأمهات في عملية إعداد الجيل الجديد لخدمة بلده ووطنه وشعبه.

ب - حث الآباء والأمهات بالابتعاد عن استعمال الكلام البذيء أو العقاب البدني كوسيلة من وسائل تربية الأبناء ، مع تشجيعهم على الالتزام بالسلوك الإيجابي والابتعاد عن السلوك السلبي والمستهجن .

ج - حث الآباء والأمهات على الالتزام بمبدأ المساواة في معاملتهم لأبنائهم ومشاركتهم في حل مشكلاتهم .

د - الاشادة بالأسرة المنظمة والمتماسكة والموحدة .

هـ - ضرورة قيام الدولة من خلال المحاكم المختصة والاصلاحيات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية بحماية وتربية وإعالة وتأهيل أولاد الأسر المفككة ، وأنهاء مسؤولية الآباء والأمهات غير المؤهلين للرعاية وأعطاء مسؤولياتهم إلى دور رعاية الأحداث التي تديرها الدولة وتشرف عليها .

٦ - التأكيد على دور الأسرة في المجتمع وتزويدها بالمعلومات والخبر والأساليب الإيجابية التي تمكنها من تربية وتقويم أولادها عن طريق وسائل الأعلام والمنظمات الجماهيرية والمرشدات التربويات والزائرات الاجتماعيات التي تفيد الأسرة في التربية والتوجيه .

٧ - حماية الشباب من التيارات الفكرية المضادة والمعادية كالعنصرية والطبقية والطائفية والإقليمية وضعف الشعور بالمسؤولية والانانية وحب الذات من خلال تحصين الشباب ، فكرياً وثقافياً وأعلامياً عن طريق الجماعات المؤسسية ووسائل الأعلام والمنظمات الحزبية والجماهيرية والشعبية.

٨ - توطيد العلاقة المتفاعلة بين الأسرة والمدرسة عن طريق إدامة الصلة مع أولياء أمور الطلبة لتدارس أوضاعهم وبما يكفل وقايتهم من أخطار الجنوح والأنحراف والجريمة .

الهوامش :

1. Colcord, J. Broken Homes, New York , 1963 , PP. 21-24.
2. Faris, R. Mental Disorders in Urban Areas, Chicago 1979, P. 44.
3. Johnson, H. Sociology : A Systematic Introduction , London, Routldge and Kegan Poul , 1961 , P. 475 .
4. McDougall, W. Character and the Conduct of life, London, Methuen, 1949, P. 125 .
5. Ibid., P. 126 .
6. Halsey, A. Ability and Educational Opportunity , Paris, 1971 , PP. 38-40 .

٧. الحسن، احسان محمد (الدكتور) . علاقة البناء الطبقي بالتحصيل العلمي للأطفال ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع ، ١٩٨٠ ، ص٦٤ .

٨. المصدر السابق ، ص٦٩ .

9. Krech, D. and R. Crutchfield . Individual Society , New York, 1962 , see the ch. on Attitude Formation .
10. McDougall, W. Character and the conduct of Life, P. 163.

١١. التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص١٧١ .